محاضرات في تاريخ لغة العرب

٥

١٢ = المعرب والتعريب

المعرب : ما استعملته العرب في كلامها من الالفاظ الموضوعة لمعان في غير لغتها . واشترط بعضهم ان يكون اللفظ الذي تتلقاه العرب من العجم نكرة مثل ابريسم وجوقة وسرادب ، فإذا كان علما مثل ابراهيم واسماعيل واسحاق فلا يسمى معربا ، وانما يسمى اعجميا . ومن هذا تعلم ان التعريب : هو نقل الكلمة من لغة أجنبية الى اللغة العربية بتغيير أو بغيره ويسمى الاعراب ايضا مثال ما تغير عند التعريب (شكر) فانه معرب (سكر) و (اقليد) وهو المفتاح فانه معرب (كليد) و (بنفسج) فانه معرب (بنفشه) و (هنزمن) معرب (انجمن) لمجمع الناس . ومثال ما عرب من غير تغيير (نوروز) و (الكاغد) و (البخت) بمعنى الحظ . هذا ولا جرم ان استمداد لغة من أخرى يعد من أسباب نمائها . فالتعريب بالنسبة للغة العربية أحد عوامل توسيعها ، فقد تناولت هذه اللغة طائفة من الكلم غير يسيرة من لغات شتى وأكلتها مستمرئة وهضمتها هضماً ، حتى أصبحت من لحمها ودمها ، وما في ذلك عليها من عاب ، لان اللغة الحية تشبه المخلوقات الحية ، تفتقر في بقائها ونمائها الى مختلف الاغذية ، وفي عداد هذه الاغذية ما تنتزعه لغة من أخرى من مختلف الكلم ، هذا اذا كانت اللغة قوية البنية ، وإلا فقد تكون بعض اللغات مرعى خصيباً لبعض آخر ، تأكل منها ما تشاء وتذر ما تشاء ، كما وقع للغة التركية فانها عاشت بجارتيها العربية والفارسية وأكلت منها أكل النهم الشره ، ولكنها بشمت ، وعسر عليها هضم ما ازدردته ، فحارت في أمرها ولم تزل حائرة ، وما ذلك

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

إلا الضعف بنيتها الاصلية وعاهات كانت ألمت بها منذ الطفولة على ما يظهر ٠

أما لغتنا العزيزة فهي ـ ولله الحمد ـ من أقوى اللغات على الهضم والتمثيل ، تنتزع اللفظة من أي لغة شاءت ثم تزدردها فلا تبرح أن تهضمها وتمثلها أيما تمثيل ، وتجري عليها تصاريفها وتصبح كأنها من الصميم منها ٠ حتى ان علماء اللغة وأئمتها ليحارون في هذا الباب كل الحيرة ويتعسر بل يتعذر عليهم في كثير من الاحيان تمييز الاصيل من الدخيل، حتى أدى الامر ببعضهم إلى انكار أن يكون فيها شيء من غيرها البتة ، وانقلب الامر على آخرين فأخذوا يفككون عراها ، وينكثونها نكثاً ، ويخرجون ما هو منها في الذؤابة فينسبونه الى غير أصله ، ويردونه الى غير اهله ٠ وما ظنك بقوم بلغ بهم الهوس في هذه الناحية حتى أخرجوا لفظ (الادب) من صميم لغة العرب وهذا ـ لعمرك ـ شذوذ في الشذوذ وتطرف في التطرف ٠ ولسنا في مقام المناقشة لهؤلاء الناس في هذا الشأن ، لان لنا معهم مقالا في غير هذا المقام ٠ ولكنا نريد ان نقول : ان أهم ما يجتنيه الباحث من الشعر في باب التعريب هو الإلمام بطرقه المختلفة التي سار عليها أسلافنا ، لان معرفة تلك الطرق ، وسبر منعرجاتها من اهم ما نستعين به في تذليل ما نحن بسبيله من العقبات في وضع المصطلحات العلمية التي فاض فيضها وتدفقت أنهارها ٠ نحن لا نشك في أن أولينا كانوا يسيرون في هذه السبيل على سجية لغتهم ، لا يكلفونها فوق طاقتها ، ولا يقصرون في امدادها بكل ما يسد حاجتها ويشبع نهمتها ، حتى أوصلوها الى ما أوصلوها اليه من البسطة في المادة والنصاعة في البيان ، فوعت عنهم ما شاؤا أن يوعوها من علم وادب ، ولم تضق ذرعاً بحمل ما حملوها من معقول ومنقول ومحسوس وغير محسوس كما لم يبخلوا عليها بكل ما تطلبته منهم من خدمة صادقة وتغذية صالحة ٠

فهل يشك متأدب اليوم بان اللغة بعد مجيء القرآن الكريم والنهضة الاسلامية غيرها قبلهما ، بل هي في العصر العباسي غيرها في صدر الاسلام ٠ فاذا قارنت بين لغة العلوم اللسانية ، والشرعية ، والكونية ، ولغة عرب الجاهلية ، تجد البون بعيدا ، والمسافة قصية ٠ وهل يرتاب مرتاب في أن لغة الغزالي ، والرازي ، وابن رشد ، في تآليفهم تختلف عن لغة امرىء القيس ، والنابغة ، وزهير ، وان لغة هؤلاء لو لم يتعهدها أهل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المعرفة بالخدمة ، والتوضيع ، والصقل ، والتهذيب لضاقت ذرعا بتلك العلوم الكثيرة والمعارف الغزيرة .

أما نحن فيجب علينا ونحن في عصر يشدفق بالمعارف ألا نقف موقف الجبان المتهيب وما علينا إلا أن نشق لنا طريقا لاحبا من بين هذه العقاب المنبثة ، ونتخذ من أعمال أولينا منارا نأتم به في عملنا ، ونستنير به في هذه السبيل . ولهذا كان من واجب أبناء العربية لهذا العهد أن يقتلوا هذه الناحية بحثا ليعرفوا ما ياتون وما يذرون في تمهيد طريق الحياة للفتهم هذه في هذا العصر الذي تطورت فيه الافكار تطورا هائلا ، وصار من البعيد أن تقوم قائمة للغة إلا إذا مشت مع أفكار بنيها كتفا لكتف ، وسنشير في آخر هذه المحاضرة إلى نماذج من طرق التعريب التي سلكها الاولون . وعلى الباحث بعد أن يرجع إلى ما أفرده العلماء من التآليف المهمة في هذا الباب الواسع .

وذهب أناس إلى أن ضبط الكلمات ، ومعرفة معانيها ، وضروب اشتقاقها ، وكيفية استعمالها ، يغني عن معرفة أن هذه الكلمة أصل في اللغة أو مستعارة . قالوا : ولا سيما بعد أن نحكم بان اللفظ المستعار لا يلبث أن يأخذ مكانه من اللغة المستعيرة ، ويكون له ما للأصيل ، وعليه ما عليه .

فأي فائدة تعود علينا من البحث عن أصله ، والرجوع إلى سنخه ، وهل هذا إلا ضرب من ضروب العبث ، ولون من ألوان اللهو بالباطل ؟ ! وذهب آخرون إلى أن هذه المباحث جمة الفوائد ، كثيرة الثمر ، وهي أكبر معين في دراسة تاريخ اللغة وفلسفتها وأقوى نصير في معرفة أسرار نمائها ، وعوامل بقائها ، إلى غير ذلك من الفوائد التاريخية اللغوية .

بماذا يعرف المعرب ؟

الأصل في كل كلمة تستعملها العرب أن تكون عربية النجار ، إلى أن يقوم الدليل القاطع على أنها معربة . ولا ينبغي الحكم عليها بالتعريب بمجرد موافقتها أو مقاربتها كلمة تستعمل بمعناها في اللغة العجمية ، إذ قد تكون الكلمة في العربية أصلا ، وقد نقلها العجم إلى لغتهم مثل لفظة (الجمل) فانها أصل في العربية وقد نقلها كثير من الشعوب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

إلى لغاتهم كما قد تكون الكلمة أصلا في أكثر من لغة ، لأنها موروثة من لغة قديمة اندثرت بعد أن ولدت عدة لغات ، مثال ذلك كلمة (أرض) المستعملة في العربية والانكليزية وغيرهما . فان الارض معمورة بالامم منذ وجدت الامم فلا يعقل أن أمة من الامم بقيت لا تعرف للارض اسما إلى أن سمعته من أمة أخرى فاستعارته منها ، هذا أمر تحيله العادة .

وهذا الباب من أضيق الابواب واغمضها ، ولا يمكن التوصل اليه الا بعد اجتياز أوعر المسالك واصعبها . ومن ثم نجد أقواما خاضوا في هذه المباحث على غير هدى فضلوا سواء السبيل ، فتراهم حيرى كانهم يدورون في حلقة مفرغة ، فبينا تراهم ينسبون كلمات هي من العربية في الصميم ، الى نجار عجمي ، اذ تراهم يلصقون بالعربية كلمات هي من صميم العجمية ، واذا طالبتهم بالدليل سلكوا بك بنيات الطريق ، وبعد الشدة والعناء رجعت صفر اليدين ، ورضيت من الغنيمة بالاياب . وقد وضع الاقدمون في هذه السبيل بعض الصوى ليهتدي بها السالك ، وهي على ضآلتها لا تخلو من فائدة ، قالوا تعرف عجمية الاسم بوجوده :—

احدهما = النقل بان ينقل ذلك احد أعلام العربية

الثاني = خروج الكلمة عن أوزان الاسماء العربية مثل الابريسم ، فان مثل هذا الوزن مفقود في أبنية الاسماء العربية ولذلك اختلفوا في ضبطه ـ لانهم قد يخلطون فيما ليس من كلامهم ـ ولو كان من الأوزان العربية لما أخطأهم ضبطه ، ولما اختلفوا فيه كل ذلك الاختلاف .

الثالث = ان يكون أول الاسم نونا بعد راء مثل (نرجس) فانه معرب (نرگس)

الرابع = أن يكون آخر الكلمة زايا بعد دال مثل (مهندز) ولذلك قالوا فيه (مهندس) ليبعدوا عما لا ألف لهم به .

الخامس = أن يجتمع في الكلمة الجيم والصاد مثل (الصولجان) و (الجص) فانهما معربان من (كوجان) و (كچ)

السادس = ان يجتمع فيه الجيم والقاف مثل (منجنيق) الآلة الحربية المعروفة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

و (الجوردقة) للرغيف و (الجرموق) للذي يلبس فوق الخف و (الجوسق) للقصر و (الجوالق) للوعاء المعروف (باسم چواله) و(الجلاقق) للبندق و(الجوقة) للجماعة من الناس .

السابع = أن يكون الاسم رباعيًا أو خماسيًا وهو خال من أحد حروف الذلاقة وهي (ب ر ف ل م ن) يجمعها قولك (فرّ مِنْ لب) وهي أخف الحروف ، ولذا لا تخلو منها الاسماء الرباعية والخماسية لما في هذه الاوزان من الثقل لكثرة حروفها فيلحق بها بعض هذه الحروف لتنحو بها نحو الخفة مثل (الزاووق) فانه لغة في (الزئبق) وشذ عن هذا الاصل كلمة (عسجد) فإنهم قالوا بعربيتها مع أنها رباعية خالية من حروف الذلاقة وقال الأزهري في التهذيب ـ متعقبًا على الوجه الخامس ـ قد تجتمع الجيم والصاد في بعض الكلمات العربية من ذلك قولهم : جصص الجرو إذا فتح عينيه ، وجصص فلان اناءه إذا ملأه . والصنج ضرب الحديد بالحديد .

الثامن = ان تجتمع الجيم والطاء في الاسم مثل (الطازج) فإنه معرب (تازه) وهو الطري .

التاسع = ان يجتمع في الاسم الصاد والطاء مثل (الاصطفلية) وهي الجزرة فانها معربة ؛ وأما الصراط فالصاد فيه بدل من السين إذ أصله (السراط) مأخوذ من السرط وهو الابتلاع بكثرة .

العاشر = أن يجتمع في الاسم السين والذال مثل (ساذج) فإنه معرب (ساده) وهو البسيط الخالص عما يشوبه ، وهو في الاصل ما لا نقش فيه وما يكون على لون واحد لا يخالط غيره .

الحادي عشر = أن يجتمع في الكلمة السين والزاي مثل (سذاب) وهي بقلة معروفة فإنها معربة .

الثاني عشر = أن يجتمع في الكلمة لام بعدها شين ، قال ابن سيده : ليس في كلام العرب شين بعد لام في كلمة عربية محضة لان الشينات كلها في كلام العرب قبل اللامات ، فكلمة التفليش بمعنى الهدم ليست بعربية بخلاف كلمة شغل ، وقال الجاحظ في كتابه البيان والتبيين ان الجيم لا تقارن الظاء ولا القاف ولا الطاء ولا الغين بتقديم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولا تأخير ، والزاي لا تقارن الظاء ولا السين ولا الضاد ولا الذال بتقديم ولا تأخير .

هذا مجمل ما وضعه الاولون من الأعلام في هذه السبيل ، وقد توصل علماء اللغات لهذا العهد الى أصول في هذا الباب كان يعز على الاقدمين الوصول إلى بعضها ، وماذلك إلا لانصراف جماعات المستشرقين إلى دراسة اللغات المختلفة ، ولا سيما القديمة منها والايغال في أحشاء القرون البعيدة ، واستثارة دفائنها ، وبذل الوسع في دراسة أصول اللغات وفقهها ، والإحاطة بفروعها المختلفة من جميع جهاتها ، وقد صدروا عن هذه المباحث وهم يعلمون من العلم ما كان مطموراً في غيابة التاريخ البعيد ، فإذا حكموا في هذا الباب فحكمهم الفصل ، واليهم فيه يرجع أمر العقد والحل .

ومن أمثلة ما وضعوا من القواعد في هذا الشأن قولهم : إذا اتفقت كلمتان في لغتين لفظاً ومعنى ، وكان بين أهل هاتين اللغتين صلات جغرافية أو تجارية أو سياسية أو نحوها مباشرة أو بالواسطة ينظر ، فإذا كان ذلك المعنى من نتائج قرائح إحدى تينك الامتين ، أو من مصنوعاتهم أو من منتوجات بلادهم ومحاصيلها ، يرجح أن يكون أصلا في تلك اللغة ، منقولا منها إلى غيرها ، مثال ذلك الساعة ، فإن العرب كانت تطلقها على الجزء المخصوص من الزمن ثم لما أبدعوا الآلة المعروفة التي تدل على أجزاء الزمن وتعيينها أطلقوا عليها هذه اللفظة ، فهم أسبق الامم إلى تسمية هذه الآلة بهذا الاسم ، فإذا سمعنا الفرس أو الترك مثلا استعملوا هذه اللفظة بهذا المعنى ، نقطع بأنهم استعاروها من اللغة العربية ؛ ومثل هذا كثير من المصطلحات التي وضعها العرب عندما دونوا علوم لسانهم مثل عطف وإضافة وتمييز وغيرها ، فإذا رأينا بعض الامم الشرقية استعملت هذه المصطلحات في معانيها عند العرب أو في معان تقرب منها نجزم بأنهم استعاروها من اللغة العربية ، هذا اذا علمنا بأن العرب دونوا هذه المصطلحات قبل غيرهم ، ومن ذلك كلمة القهوة فإنها موجودة في العربية وفي معظم لغات العالم فاذا علمنا أن العرب كانوا يطلقون هذه اللفظة على الخمرة ثم أطلقوها على هذه الثمرة المخصوصة المسماة بالبن . وهي من منتوجات بلاد البن في الاصل ومنها انتقلت إلى البلاد الاخرى ، إذا علمنا هذا نقطع بأن هذه اللفظة بهذا المعنى عربية النجار ، ومن ذلك (الجمل) و (الغزال) ونحوها من الحيوانات التي تكثر في بلاد العرب أو كانت خاصة بها ومنها نقلت الى غيرها ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وإذا علمنا أن المسك مثلا ينتج في بلاد التبت والصين وبعض بلاد الهند ومنها ينقل إلى سائر بلاد العالم ، وعلمنا أن هذه اللفظة مستعملة في السنسكريتية والفارسية والعربية ، غيرها ، نعلم أن هذه اللفظة بمعناها هذا سنسكريتية الاصل ومنها انتقلت إلى غيرها من اللغات مباشرة أو بالواسطة؛ ومثل ذلك (الكافور) فانه في السنسكريتية وغيرها ، ولكننا إذا عرفنا أن مصدر هذا النوع من الطيب بلاد الصين واليابان وملقا، وان اسمه باللغة الملقية (كابور) عرفنا أنها كلمة ملقية الاصل ومنها انتقلت الى غيرها من اللغات ، ومثل ذلك الفلفل فان مصدره بلاد الهند وهو في اللغة السنسكريتية (بالا) أو (ففالا) والامثلة في هذا كثيرة لا يكاد يحيط بها الحصر .

قلنا إن المتبحرين في دراسة اللغات لهذا العهد انصرفوا الى استثارة دفائن اللغات القديمة وحلوا رموزها ودرسوا أصولها درساً دقيقاً واستخرجوا فروعها وقارنوا بينها من حيث المادة ، والصرف والنحو وغيرها ، وبذلك توصلوا الى معارف جمة وعلوم مهمة وقد أرجعوا كل طائفة من اللغات الى أصل واحد ،وهذا الاصل اما أن يكون باقياً أو مندثراً ، فأصول الباقية هي التي سارع أهلوها الي تدوينها منذ العصور العريقةبالقدم، والمندثرة هي التي لم تدون فبقيت مطمورة في طبقات القرون الخالية،أما فروعها فنمت واورقت ثم أثمرت ومنها ما قضى نحبه ومنها ما ينتظر .

فإذا ذهبنا الى القول بان اللغة العربية والعبرانية والكلدانية ــ مثلا ــ بنات لام واحدة هلكت وعاشت بناتها ، نعلم أن كثيراً من الالفاظ بقيت مشتركة بين هذه اللغات فاذا رأينا لفظة في أكثر من واحدة من هذه اللغات دالة على معنى واحد أو على معان متقاربة لا يمكننا الحكم باصالتها في لغة دون اخرى بل نرجح أن تكون هذه اللفظة من ميراث اللغات الام ، فهي أصل في كل منها . وبالعكس اذا وجدوا لفظة في احدى هذه اللغات تخلو منها سائر اخواتها يشكون في كونها أصلا في هذه اللغة .

وعلى هذا وضعوا قاعدة اغلبية وهي انهم اذا وجدوا لفظة في لغتين أو أكثر ترجع الى اصول مختلفة ولم يجدوا تلك اللفظة في اخوات احدى اللغتين أو اللغات يرجحون انتسابها الى اللغة الاخرى،مثال ذلك اذا وجدوا لفظة في العبرية والمصرية القديمة مثلا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولم يجدوها في العربية ولا الكلدانية يرجحون انها مصرية الاصل وان العبرية استعارتها من المصرية .

هل التغيير ضروري في التعريب

من الكلمات المعربة ما يبقى على حاله قبل التعريب مثل (بخت) و (نوروز) ومنها ما يجري عليه التغيير يسيراً كان أو كثيراً .

والاصل في هذا الباب عدم التغيير وابقاء الاصل على حاله الا اذا دعت الى التغيير ضرورة ، فيصار اليه ؛ ولكن التغيير يكون بقدر ما قضت به تلك الضرورة من غير زيادة ولا نقصان ومع هذا فانا كثيراً ما نجد تغييراً لا تدعو اليه الحاجة ولا تقضي به الضرورة ، مثال ذلك (الكعك) فانه معرب من (كاك) قلبت الفه عيناً من غير ضرورة داعية . و (الدهقان) معرب (ده خان) اي رئيس القرية ، ومقدم أهل الزراعة من العجم .

وقد يجتمع في الكلمة الواحدة تغيير لازم وآخر غير لازم مثل كلمة (البد) بمعنى الصنم ، فانه معرب (بت) قلبت فيه الباء الفارسية المثلثة باء عربية ، وهذا القلب لازم لئلا يدخل في الحروف العربية ما ليس منها ، وقلبت التاء دالا ، وهذا القلب غير لازم كما هو ظاهر .

وأسباب التغيير كثيرة منها : اشتمال الكلمة الاعجمية المراد تعريبها على بعض الحروف العجمية التي لا وجود لها في اللغة العربية كما أشرنا الى ذلك في أول هذا البحث ؛ ومنها أن يكون في الكلمة الاعجمية حركة لا وجود لها في العربية أو هي موجودة في لغة ضعيفة مثل كلمة (زور) بمعنى القوة ، فانها معربة من كلمة (زور) بضمة مشوبة بالفتحة ، فأبدلت عند التعريب بضمة خالصة لعدم وجود الضمة المشوبة في العربية المشهورة ؛ ومنها الثقل (ناي) آلة الطرب المعروفة فانها معرب (ناي نرمين) وقد حذف شطرها الثاني للخفة ؛ ومنها نقص الكلمة الاعجمية من ثلاثة الاحرف مثل (صك) تشديد الكاف فانه معرب « جك » الثنائي على ما عرفت آنفاً ، ومنها كون الكلمة الاعجمية مبدوءة بحرف ساكن ، فيضطر عند التعريب الى تحريكه أو زيادة همزة قبله مثل (هليلج) و (أهليلج) معرب (هليلة) وهو الثمر المعروف ؛ ومنها أن يجتمع

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في الكلمة الاعجمية حرفان ساكنان سكونا على غير حده فيحرك أحدهما مثل (ابزن) تعريب (آبزن) كما تقدم ، ومنها تحريك آخر الكلمة المعربة بحركة الاعراب فإن كان الحرف الآخر في الكلمة الاعجمية هاء رسمية مثل (دوره) لمكيال الشراب وللجرة ذات العروة و (لوزينه) لنوع من الحلوى و (روزونه) للكوة وجب قلب هذه الهاء الى حرف آخر قابل لحركة الاعراب وقد اعتادوا قلبها جيماً وهو الاكثر ، وربما قلبوها قافاً أو تاء فقالوا (لوزينج) و (زورق) و (روزونة) وقد تقلب هذه الهاء كافاً وعليه عربوا كلمة « نيزه » وهو الرمح القصير على « نيزك » .

وأسباب كثيرة يعرف كل في محله وقد تشدّد بعض الاعلام في وجوب صيانة الاعلام من التغيير بقدر الإمكان حتى قال بعضهم : يجب صيانة العلم الاعجمي من كل تغيير مهما كلفنا ذلك من المؤونة فيجب أن ننطق بها كما ينطق بها أهلها من غير أدنى تغيير وهو رأي وجيه ولكنه صعب التطبيق ، لان الحكم على الالسنة باجراء ما لا عهد لها به أمر غير يسير ، كما يشهد به الواقع .

يتبع طه الراوي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net